لغة القرآن

للشاعر د.عبد الكريم أحمد عاصي المحمود

أكــرمْ بهــا كلِمــاً أعظــمْ بهــا لغــةً ربُّ البريـــة فـــي القـــرآن حيّاهـــا

بوصـــفه عربيـــاً غيـــر ذي عِـــوجٍ يهـــدي النفـــوس لحـــقٍ فيـــه تقواهـــا

لــو أنزلــت آيُــه العظمــى علــى جبــلٍ لظـــلّ منصـــدع الأركـــان جرّاهـــا

وبوركـــت لغـــةُ القـــرآن خالـــدةً فـــالله فـــي لوحـــه المحفـــوظ يرعاهـــا

مـــذ نُطـــق آدمَ بالأســـماء علّمـــه ربٌّ تخيّـــر مبناهـــا ومعناهـــا

فـــي نظـــم أحرفهـــا إعجـــاز قـــدرتها مـــا اختارهـــا الله إلّا مـــن مزاياهـــا

هـــي البيـــان بـــه وحـــيُ الســـماء أتـــى فـــي كـــل لفـــظٍ بـــه جبريـــل قـــد فاهـــا

قـــد خصّـــها الله بالـــذكر الحكـــيم لـــه ســـبعون بطنـــاً تـــوارت فـــي ثناياهـــا

وزادهـــا شـــرفاً خـــتمُ الـــبلاغ بهـــا مـــن خـــاتم الأنبيـــاء المصـــطفى طاهـــا

بخطّهـــا حفظـــتْ كـــل العلـــوم لنـــا مجـداً نبـاهي بـه فـي المجد مَـن بـاهى

فقـــهُ وتفســـيرُ قـــرآنٍ وفلســـفةٌ علـــمُ الحـــديث وتـــاريخٌ ومـــا ضـــاهى

فكـــل علـــمٍ تربّـــى فـــي رعايتهـــا ومـــا توانـــت بحفـــظٍ عـــن رعاياهـــا

هـــي الأمـــان لهـــم مـــن كـــل مضـــطغنٍ يريـــد شـــراً بهـــم فـــي هجـــر مغناهـــا

يـــدعو لهـــدم أصـــولٍ مـــن قواعـــدها ســـعياً لطمـــر كنـــوزٍ فـــي طواياهـــا

هـــذا الحـــداثيّ مـــن كـــرهٍ لأمتـــه غرّتـــه أحلامُـــه فـــي كســـر مَرقاهـــا

وصـــار يخـــدع مـــن جهّالهـــا فئـــةً وكـــم ســـمعنا نهيقـــاً مـــن مطاياهـــا

فتـــارةً زعمـــوا التعقيـــد فـــي لغـــةٍ لا ينطـق النـاس فـي الأسـواق فُصـحاها

وأرجفـــــوا بكــــــلامٍ أنّ لهجـــــــتهم		أولـى وأحـرى مـن الفصـحى بجـدواها
وتــــارةً زعمـــوا ضـــيقاً بمعجمهـــا		عــن سـيل علـمٍ رهيـبٍ قـد تخطاهـا
أو أن شـــاعرهم يشـــقى بحُجرتهـــا		فعـــاد مـــن حقـــه تحطـــيمُ مبناهـــا
والحـــق أن الألـــى ضـــاقوا بأحرفهـــا		كانـــت تضـيق رؤاهـــم عـــن خفاياهـــا
فـأغفلوا فـي مـدى الأعصـار مـا حملـتْ		نثـــراً وشـــعراً وعلمـــاً فـــي حناياهـــا
مـــا أعجـزتْ عالمـــاً عـن صـوغ فكرتـه		أو أبعـــدتْ كاتبـــاً عـــن نيـــل مغزاهـــا
مـــا أسـقطت شـاعراً عـن سـرج صـهوتها		إن قادهـــا فارســـاً بالحـــذق أجراهـــا
بفضـــــلها خفقـــت رايـــات وحـــدتنا		أرضـــاً وشـــعباً ودينـــاً كـــان أبقاهـــا
وطوّقـــــــتْ بـــــــذراعيها عروبتنـــــــا		عـــزاً وأكـــرمْ بمـــن ضـــمّت ذراعاهـــا
وطبّقـــت أفـــق الــــدنيا حضـــارتنا		شـــرقاً وغربـــاً لهـــم تُهـــدي عطاياهـــا
مـــن كـــل علـــمٍ بـــأمّ الضـــاد أخرجـــه		غـوّاصــــه درراً مـــــن بحـــــر فحواهـــا
وأنتجـــــت أدبـــــاً يزهـــــو بنُضـــــرته		يبقـــى مـــدى الـــدهر فوّاحـــاً بريّاهـــا
بهـــا سـمتْ فـــي سـماء المجـــد كوكبـةً		مـــن العقـــول وزادت فـــي الـــدنى جاهـــا
وفخرهـــا لغـــة القـــرآن مـــا اتّخـــذت		مـــن غيرهـــا نســـباً يعلـــي ســـجاياها
فبوركـــتْ فـــي مـــدى الأعصـــار والـــدةً		كـــل اللغـــات فلـــم يولـــدنَ لولاهـــا
وبوركــت فـــي مـــدى الأعصـــار شـــامخةً		مثـــل الجبـــال بـــديعُ الكـــون أرســـاها
كـــم مـــن عـــدوٍّ تحـــدّى رأســـها نزقـــاً		بســــــيفه فتهـــــاوى مَـــــن تحـــــدّاها
وكـــــم تقصّـــــدها مســـــتعمرٌ شـــــرسٌ		ببطشــــــــه باغيــــــــاً واللهُ نجّاهـــــــا
وكـــــم أراد لهـــــا مستشـــــرقٌ وقـــــحٌ		بكيــــده مقـــتلاً فـــــي محـــــو ذكراهـــــا

وكيـــف يطفـــيء نـــور الله منـــتقصٌ يريـــــده ظلمـــــــةً واللهُ يأباهـــــا

فاقـــت بميزاتهـــا كـــل اللغـــات فمـــا لهـــا نظيـــرٌ بمـــا تحويـــه داناهـــا

يُشــتقّ مــن لفظهــا فــي نقــل أحرفهــا الفـــاظ هائلـــةٌ مـــا كـــان أثراهـــا

وأبهـــرتْ دارســـيها فـــي ترادفهـــا مـــن عمقهـــا ميّـــزت بـــاللفظ أشـــباها

وخصـــــها الله بـــــالاعراب منقبـــــةً فيـــه يكـــون دقيـــق الفهـــم مرماهـــا

وزانهـــا بجمـــال الصـــوت فـــي أذنٍ تميـــز فـــي زحمـــة الأصـــوات أحلاهـــا

أدامهـــــا بشـــــبابٍ زاهـــــرٍ أبـــــداً تشـــيب كـــل لغـــات الأرض إلاّهـــا

قـد خـاب مـن يبتغـي مـن أهلهـا بـدلاً عنهـــا وأغضـــب مَـــن للـــدين زكّاهـــا

ومـــن تغـــرّب عنهـــا دون حاجتـــه فللنفـــــاق وريثـــــاً صـــــار عقباهـــــا

أيـــن الحمـــاة لهـــا أبنـــاءُ جلـــدتها فمـــن بنيهـــا تعـــالى صـــوتُ شـــكواها

تشـــكو عقوقـــاً لهـــا مـــن كـــل منتحِـــلٍ مـــذاهبَ الكفـــر بالاجحـــاف جازاهـــا

كـــالأمّ تبكـــي علـــى أبنائهـــا أســـفاً أن قابلوهـــــا بإنكـــــارٍ لمســـــعاها

وغادروهـــا لجهـــلٍ نحـــو هرطقـــةٍ باســـم الحداثـــة ضـــمّتهم لمرضـــاها

فلســـتَ تفهـــم مـــن أقـــوالهم كلِمـــاً ولســـتَ تعقـــل فكـــراً مـــن حُميّاهـــا

نعـــقٌ يثيـــر صُـــداعاً عنـــد ســـامعه أو كالنعـــاج ثغـــتْ مـــن جـــدب مرعاهـــا

أولاءِ قـــــومٌ أضـــــلّ اللهُ صـــــنعَهمُ فـــــي عـــــقّ أمٍّ قضـــــاء الله أعلاهـــــا

فبوركـــت حـــرّةً أمّ اللغـــات علـــى رغـــم الأعـــادي بعـــزٍّ طـــولَ دنياهـــا

وبوركـــتْ لغـــةً مـــن يـــوم مولـــدها ليـــــوم عودتهـــــا لله مولاهـــــا

وبوركـــت لغـــةً طـــاب الحـــديث بهـــا لســـاكني جنـــة الفـــردوس مأواهـــا